

والتي تسعى إلى تقويمه وتأويله بناء على شذرات وأجزاء. وبذلك أيضا يمكننا الذهاب إلى إمكانية تعامل مختلف العلوم التي تبحث فيه انطلاقا من هذا الأساس، وتكاملها في النظر إليه في ضوء ما يمكن أن تقدمه العلوم الأخرى في مقاربتها لجوانب أخرى منه.

النص العربي كل متكامل. وهذا الكل غير قابل لأن يتم فصل إلى: نص ولانص، أو إلى نص إيجابي ونص سلبي، نص قابل لأن يبحث فيه، ونص قابل للتهميش والإلغاء. وهذا التمييز، هو الذي لا يزال معتمدا وقائما، وهو لا يؤدي بنا إلا إلى المزيد من عدم فهم ومعرفة النص العربي في كليته. وإذا اعتبرنا النص العربي بنية عامة وكلية، نعتبر مختلف ما أنجز ضمنه بنيات جزئية علينا أن نبحث فيها ونتعرف على جزئياتها ومختلف تجلياتها. وبهذا نفتح أفقا جديدا ومغايرا للبحث والتفكير. ذلك لأن التقاطب بين «النص» و«اللانص» بناء على المعايير القياسية لم يبق ما يسوغ بقاءه واستمراره. كما أن التقليد الأدبي العربي الذي هيمن طويلا، آن الأوان لإعادة التفكير فيه، لخلق تقليد أدبي وثقافي جديد يراعي التطورات التاريخية الكبرى التي عرفها المجتمع العربي. ولا شك أن التطورات التي نحن مقبلون عليها في القرن الحادي والعشرين أفضح وأكبر. وإذا لم تتغير طرائق تفكيرنا في النص العربي وفي مختلف تجلياته نظل نستعيد قيما عفا عليها الدهر، وغير قادرين على خلق القيم التي تمكننا من معرفة الذات والنص العربيين الكامنين، واللذين بقيا بعداء عن التفكير فيهما وتفجير بواطنهما وتحويلهما لفائدة التطور والتقدم.

بهذا التصور نعتبر «السيرة الشعبية العربية» نصا قابلا للتحليل والدراسة، وبه أيضا نتجاوز التقليد الأدبي الذي لم يكن يعترف بها، لبعض الاعتبارات التي أتينا على ذكر بعضها. ولإبراز أن التمييز بين النص واللانص هو وليد تصور تمليه شروط تاريخية واجتماعية معينة، نلاحظ أن السيرة الشعبية تغيرت بعض ملامح الصورة إليها في أربعينيات وأواسط هذا القرن، ونظر إليها الباحث العربي على أنها «نص»، ودافع عن ضرورة بحثها والاعتراف بها. وقبل الانتقال إلى معاينة كيف اعتبرت «نصا» ولماذا ولأية غاية في الفصل الثاني الذي نكرسه لقراءات السيرة الشعبية في الأدبيات الحديثة سواء لدى المستشرقين أو العرب، نريد تذييل